

تفسير السعدي

@ 563 @ لكم شدة الزنا وفطاعته ، وفطاعة القذف به ، وأن شرع التوبة من هذه الكبائر وغيرها . ^ (إن الذين جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا ه ذآ إفك مبين * لولا جَاءُوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله الكاذبون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم به ذا سبحانك ه ذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم * يأيتها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم * ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم * إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين * الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) ^ لما ذكر فيما تقدم تعظيم الرمي بالزنا عموما ، صار ذلك كأنه مقدمة لهذه القصة ، التي وقعت على أشرف النساء ، أم المؤمنين رضي الله عنها ، وهذه الآيات ، نزلت في قصة الإفك المشهورة ، الثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد . وحاصلها أن النبي صلى الله عليه وسلم ، في بعض غزواته ، ومعه زوجته عائشة الصديقة ، بنت الصديق . فانقطع عقدها فأنحست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها ، فلم يفقدوها ثم استقل الجيش راحلا ، وجاءت مكانهم ، وعلمت أنهم إذا فقدوها ، رجعوا إليها فاستمروا في مسيرهم . وكان صفوان بن المعطل السلمي ، من أفاضل الصحابة رضي الله عنه ، قد عرس في أخريات القوم ، ونام ، فرأى عائشة رضي الله عنها ، فعرفها ، فأناخ راحلته ، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه ، ثم جاء يقود بها ، بعد ما نزل الجيش في الظهيرة . فلما رأى بعض المنافقين ، الذين في صحبة

النبي صلى الله عليه وسلم ، في ذلك السفر ، مجيء ، صفوان بها في هذه الحال أشاع ما أشاع ، وفشا الحديث ، وتلقفته الألسن ، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين ، وصاروا يتناقلون هذا الكلام ، وانهب الوحي مدة طويلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وبلغ الخبر عائشة بعد ذلك بمدة ، فحزنت حزنا شديدا ، فأنزل الله براءتها في هذه الآيات . ووعظ الله المؤمنين ، وأعظم ذلك ، ووصاهم بالوصايا النافعة . فقوله تعالى : ! 2 2 ! أي : الكذب الشنيع ، وهو رمي أم المؤمنين ! 2 2 ! أي : جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين ، منهم المؤمن الصادق في إيمانه ، لكنه اغتر بترويج المنافقين ، ومنهم المنافق . ^ (ولا تحسبوه شرا لكم بل خير لكم) ^ لما تضمن ذلك من تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها ، والتنويه بذكرها ، حتى تناول عموم المدح سائر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم . ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد ، التي ما زال العمل بها إلى يوم القيامة فكل هذا خير عظيم ، لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل ذلك . وإذا أراد الله أمرا جعل له سببا ، ولذلك جعل الخطاب عاما مع المؤمنين كلهم . وأخبر أن قدح بعضهم ببعض ، كقدح في أنفسهم . ففيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، واجتماعهم على مصالحهم ، كالجسد الواحد ، والمؤمن للمؤمن ، كالبنيان يشد بعضه بعضا . فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه ، فليكره من كل أحد ، أن يقدح في أخيه المؤمن ، الذي بمنزلة نفسه ، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة ، فإنه من نقص إيمانه ، وعدم نصحه . ! 2 2 ! وهذا وعيد للذين جاؤوا بالإفك ، وأنهم سيعاقبون على ما قالوا من ذلك ، وقد حد النبي صلى الله عليه وسلم منهم جماعة . ! 2 ! 2 ! أي : معظم الإفك ، وهو المنافق الخبيث ، عبد الله بن أبي ابن سلول ، لعنه الله ! 2 ! 2 ! ألا وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار . ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال : ! 2 ! 2 ! أي : ظن المؤمنون بعضهم ببعض خيرا ، وهو السلام مما رموا به ، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم ، يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل . ! 2 ! 2 ! بسبب ذلك الظن ! 2 ! 2 ! أي : تنزيها لك من كل سوء ، وعن أن تبثلي أصفياك بالأمور الشنيعة . ! 2 ! 2 ! أي : كذب وبهت ، من أعظم الأشياء ، وأبينها . فهذا من الظن الواجب ، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن ، مثل هذا الكلام ، أن يبرئه بلسانه ، ويكذب القائل لذلك . ^ (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) ^ أي : هلا جاء الرامون على ما رموا به ، بأربعة شهداء أي : عدول مرضيين . ^ (فإذا لم يؤتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) ^ وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك ، فإنهم كاذبون في حكم الله ، لأنه حرم عليهم التكلم بذلك ، من دون أربعة شهود ، ولهذا قال : ! 2 ! 2 ! ، ولم يقل (فأولئك هم الكاذبون) . وهذا كله ، من تعظيم حرمة عرض المسلم ، بحيث لا يجوز الإقدام على رميه ، من دون نصاب الشهادة بالصدق . ! 2 ! 2 ! بحيث شملكم إحسانه فيهما ، في أمر دينكم ودنياكم . ! 2 ! 2 ! أي : خضتم ! 2 ! 2 ! من شأن

الإفك ! 2 2 ! لاستحقاقكم ذلك بما قلتم . ولكن من فضل الله عليكم ورحمته ، أن